على الطريق فقال نفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته

• أين المفر والإله الطالب • والأشرم المغلوب غير الغالب •

وقال أيضاً في ذلك

• ألا حييت عنا يا ردينا • نعمناكم مع الإصباح عينا •

• ردينة لو رأيت ولم تريه • لدى جنب المحصب ما رأينا •

• إذاً لعذرتني وحمدت أمري • ولم تأسي على ما فات بيننا •

• حمدت الله إذ عاينت طيراً • وخفت حجارة تلقى علينا •

• وكل القوم يسأل عن نفيل • كأن علي للحبشان دينا •

وذكر زياد عن عبد الله بن عمر أن طير الأبابيل كانوا أقبلوا من قبل البحر كرجال الهند معهم حجارة أصغرها مثل رؤوس الرجال وأكبرها كالإبل البزل ما رمت أصابت وما أصابت قتلت ونفيل ينظر إليهم من بعض تلك الجبال وقد فزع وخرج القوم وصاح بعضهم على بعض فخرجوا ثابتاً فظنون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وبعث الله تعالى على أبرهة داء في جسده فجعل يتساقط أنامله كلما سقطت أنملة أتبعتها أنملة وقيح ودم فانتهى إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فيما بقي من أصحابه فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك وزعم مقاتل بن سليمان أن السبب الذي جر حديث أصحاب الفيل فتية من قريش خرجوا تجاراً إلى أرض النجاشي فساروا حتى دنوا من ساحل البحر وفي سند حقف من أحقافها بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل ويسميها النجاشي وأهل أرضه الماسرجسان فنزل القوم في سندها فجمعوا حطباً وأججوا ناراً واشتووا لحماً فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف فهاجت الرياح فاضطرم الهيكل ناراً وانطلق الصريخ إلى النجاشي فأخبره فأسف عند ذلك غضباً للبيعة فبعث أبرهة لهدم الكعبة وكان بمكة يومئذ أبو مسعود الثقفي وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلاً نبيهاً عارفاً وكان لعبد المطلب خليلاً فقال له عبد المطلب يا أبا مسعود هذا يوم لا تستغني فيه عن رأيك فما رأيك فقال أبو مسعود لعبد المطلب اعمد إلى مائة من الإبل فاجعلها حرماً لله تعالى وقلدها نعلاً وأشعرها في الحرم لعل بعض هؤلاء السودان يعقر منها فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم إلى تلك الإبل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال أبو مسعود إن لهذا البيت رباً سيمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن بفناء هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه وأظلم عليه ثلاثة أيام فلما رأى ذلك تبع كساه القباطي البيض وعظمه ونحر له جزراً ثم قال أبو مسعود لعبد المطلب انظر إلى نحو البحر هل ترى شيئاً فقال أرى طيراً بيضاً نشأت من جانب البحر وحلقت على رؤوسنا فقال له هل تعرفها فقال عبد المطلب والله ما أعرفها ما هي بنجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية وإنها لتشبه بأرضنا غير مؤنسة قال ما قدرها قال أشباه اليعاسيب في مناقيرها حصى كأنها حصى الخذف قد أقبلت كالليل المظلم يتبع بعضها بعضاً أمام كل فرقة طير يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق فجاءت حتى إذا حاذت عسكر القوم ركدت فوق رؤوسهم فلما توافت الرجال كلها أهالت الطير ما في مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم إنها رجعت من

حيث

حيث جاءت فلما أصبح عبد المطلب وأبو مسعود انحطا من ذروة الجبل فمشيا ربوة فلم يؤنسا أحداً ثم إنهما مشيا فلم يسمعا حساً فقالا لبعضهما بات القوم ساهرين فأصبحوا نياماً فلما دنوا من معسكر الفيل فإذا هم خامدون وكان الحجر يقع على بيضة أحدهم فيخرقها ويقع في دماغه ويخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر في الأرض من شدة وقعه ثم إن عبد المطلب أخذ فأساً وحفر حتى أعمق في الأرض فملأها من الذهب الأحمر والجوهر الجيد ثم حفر لصاحبه حفرة فملأها ثم قال لأبي مسعود هات خاتمك واختر إن شئت أخذت حفرتي وإن شئت أخذت حفرتك وإن شئت فهما لك معاً فقال له أبو مسعود اختر لي على نفسك فقال عبد المطلب إني جعلت أجود المتاع في حفرتي فهو لك ثم جلس كل واحد منهما على حفرته ونادى عبد المطلب في الناس فرجعوا وأصابوا من فضلها حتى ضاقوا بذلك ذرعاً وساد عبد المطلب بذلك على قريش وأعطته الرياسة فلم يزل أبو مسعود وعبد المطلب غنيين من ذلك المال إلى أن ماتا وقال الواقدي بإسناده أغزى النجاشي أرياط في أربعة آلاف إلى اليمن فغلب عليها فأكرم الملوك واستذل الفقراء فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة الأشرم أبو يكسوم فدعا إلى طاعته فأجابوه فقتل أرياط وغلب على اليمن ورأى الناس يتجهزون أيام الموسم للحج فسأل أين تذهب الناس فقيل يحجون بيت الله بمكة قال فما هو قال من حجر قال فما كسوته قالوا ما يأتي من ها هنا من الوصائل فقال والمسيح لأبنين لكم خيراً منه فبنى لهم بيتاً بالرخام الأبيض والأسود والأحمر والأصفر وحلاه بالذهب والفضة وحفه بالجواهر وجعل له أبواباً عليها صفائح الذهب ومسامير الذهب ورصعها بالجواهر وجعل فيها ياقوتة حمراء وجعل لها حاجباً وكان يوقد بالمندل ويلطخ جدرانه بالمسك حتى تغيب الجواهر وأمر الناس بحجه فحجه كثير من قبائل العرب سنين ومكث فيه رجال يتعبدون ويتنسكون فأمهل نفيل الخثعمي حتى كان ليلة والليالي لم ير أحداً يتحرك فجاء بعذرة فلطخ بها قبلته وألقى فيه الجيف فأخبر أبرهة بذلك فغضب أبرهة غضباً شديداً وقال إنما فعلت العرب ذلك غيظاً لأجل بيتهم ثم إنه قال لأنقضنه حجراً حجراً ثم إنه كتب إلى النجاشي يخبره بذلك ويسأله أن يبعث إليه بفيله محمود وكان فيلاً لم ير مثله في الأرض عظماً وجسماً وقوة فبعثه إليه فخرج إلى البيت كما ذكرنا إلى أن قال فأقبلت الطير من البحر أبابيل مع كل طير ثلاثة أحجار حجران في رجليه وحجر في منقاره وقذفت الحجارة عليهم لا تصيب شيئاً إلا هشمته وبعث الله سيلاً أتى عليهم فذهب بهم إلى البحر فألقاهم فيه وولى أبرهة ومن معه هارباً فجعل أبرهة يسقط عضواً عضواً حتى مات وأما محمود فيل النجاشي فربض ولم يتجرأ على الحرم فنجا وأما الفيلة الأخرى فشجعت فحصبت وهلكت وهو أول وقت رؤي فيه الجدري والحصبة وقال أمية بن أبي الصلت

• إن آيات ربنا بينات • ما يماري فيهن إلا الكفور •

• حبس الفيل بالمغمس حتى • ظل يحبو كأنه معقور •

• حوله من رجال كندة فتيان • مصاليت في الحروب صقور •

• غادروه وقد تولوا سراعاً • كلهم عظم ساقه مكسور •

وقال الكلبي إنما أهلكهم الله بالحجارة لم يفلت منهم إلا أبرهة الأشرم أبو يكسوم فسار وطائر يطير فوقه

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1